أغرب من الخيال

مال بلا عمل ...

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

أنحنت « إرما » على المائدة الصغيرة التى مازالت تحمل بقايا القهوة التى شربناها معاً كأنها تريد أن تفضى إلىّ بسر من الأسرار وقالت :

— اسمعى يا «سو» إن الأمر أبسط مما تتصورين فكل ما عليك أن تفعلى هو ...

فقلت فى لهجة مضطربة :

— لا أستطيع ، فالواقع أن ما تطلبينه مستحيل ، أقصد أنه ... أنه عمل غير شريف :

قالت « إرما » :

— هل لك أن تقولى لى أى شىء فيه يخالف الشرف ؟ أيمكن أن يقبض عليك أحد بسبب ذلك ؟ إنه تصرف فى حدود القانون

ففكرت قليلاً وقلت :

— قد يكون هذا العمل فى حدود القانون ولكن ...

فقاطعتنى إرما بقولها :

— ولكن ... ماذا ؟ أتفضلين أن تعودى إلى بيتك فتخبرى أمك أنك فقدت مركزك ؟

— نعم إننى كنت فى هذه المرة عاطلة من العمل فقد تركت نهائياً مركزى فى شركة ... الصناعية لشأنى فى ذلك شأن بقية مستخدمى هذه الشركة الذين خرجوا من عملهم لإفلاس الشركة . ولقد كنت أعلم ما ستقوله أمى متى عرفت هذا الخبر المزعج ، وسينظر إلى إخوتى الأطفال بعين السخرية فلا يزجرهم إلا ما ينهال عليهم من شتائم أمى المحنقة الجازعة

فقد كانت الجنيهات الثلاثة التى أتقاضاها أجراً أسبوعياً عن عملى هى التى تقيم أود هذه العائلة الصغيرة . فضياع هذا المبلغ من أيدينا ...

لم يكن هناك ما يدعو إلى إسراعى فى العودة إلى بيتى فسرت فى الطرقات أتسكع وسط رواد الحوانيت بعد ظهر يوم السبت . وكنت أحمل فى حافظة نقودى تسعة جنيهات هى أجر الأسبوع الأخير وأجر أسبوعين مكافأة . ومن كان يحمل مثل هذا المبلغ لا يكتفى بالنظر إلى ما تحوى واجهات الحوانيت وبعض أناسه أسفاً لعدم استطاعته ابتياع شىء منها . على أن تسعة جنيهاتى لم يكن شأنها معى شأنها مع غيرى من الفتيات السعيدات اللواتى يندفعن غير مباليات إلى داخل الحوانيت

فبعد جولة فى الطرقات قصدت إلى بيت « إرما » وهى فتاة كانت تشتغل فيما مضى كاتبة فى بعض البيوت التجارية ، وقد أخرجت هى الأخرى من عملها من قبل ستة أسابيع . ولم يكن يبدو عليها التلهف للحصول على عمل جديد فهى لا تنتقل من وكالة تخديم إلى أخرى حيث تسأل عن اسمها ونسبها وحيث تقيسها الأعين الجامدة من رأسها إلى قدمها ..

فلقد كانت « إرما » فتاة لعوباً وهو الوصف الذى لا ينطبق عليها سواه ، ولقد كانت تحاول أن تغريني باجتذاء مثالها . فمضت تقول :

— إنك جذابة النظرات يا « سو » وأنت قادرة بما وهبك الله من حسن أن تربحى حوالى عشرة شلنات كل مساء

فقلت مصرة على الرفض :

— أنا لا أستطيع

قالت إرما :

— لا تستطيعين ماذا ؟

— لا أستطيع أن أتصيد الرجال ، وأن أخرج مع رجل لم أقدم له من قبل

قالت صاحبتى :

— أتريدين أن تقولى إنك لم تفعلى ذلك فيما مضى وأنت من فتيات لندن مولداً ونشأة ؟ أظن إذن أن لك كثيراً من الأصدقاء الفتيان فما بك من حاجة إلى السعى للبحث عن غيرهم

قلت :

— أنا لا أعرف كثيراً من الفتيان

قالت إرما :

— اسمعى يا « سو » إن كل ما عليك أن تعمليه هو أن تقفى أمام باب من أبواب دور السينما ، ويحسن أن تكون من الدور التى لا يقل أجر الدخول إليها عن شلنين ، وهناك تتظاهرين بأن صديقك الشاب قد أخل بموعده معك . فماذا يحدث ؟ هناك دائماً كثيرون من الرجال يبحثون عن فتيات يدخلن معهم ، فانظرى إلى أحدهم بعين مغرية ، فلا يلبث أن يقول لك : « أتحبين أن تدخلى ؟ » فتقولين : « لا مانع عندى من الدخول » وأظنك توافقيني على أن ليس فى ذلك ما يدعو إلى القبض عليك ؟

ثم تدخلين مع الرجل . وعليك كما قلت أن تحملى معك نصف التذكرة ، حتى إذا مضت خمس دقائق على ابتداء السينما ، تستأذنين من صاحبك فى الذهاب إلى غرفة الزينة ، ثم تخرجين وتخبرين فتاة الصندوق أنك قد ابتعت التذكرة منذ لحظة وأنك تشعرين بالتعب وتريدين الانصراف وأخذ ثمن التذكرة ؛ فتنظر الفتاة إلى رقم التذكرة ، وبعد أن تتأكد من أنك دخلت منذ برهة قصيرة ترد إليك الثمن ؛ وقد يصل فى بعض دور السينما إلى خمسة شلنات ، فإذا كررت هذه العملية فى ثلاث أو أربع من دور السينما كل ليلة أمكنك أن تحصلى على مثل الذى أحصل عليه كل ليلة

سمعت هذه الكلمات فقهقهت على حين فجأة لأن ما قالته إرما كان فى نظرى أشبه بالمزاح . ثم قالت إرما :

— وأنا أفعل ذلك فى أمسيات أيام السبت أيضاً . فإذا أردت أن ترى بعينيك عمل خبيرة فى هذا فتعالى معى وقفى على مقربة منى وانظرى ما أصنع

بعد عشر دقائق كنت واقفة فى ظل مدخل من مداخل دور السينما الكبيرة أرقب إرما التى وقفت على مقربة من شباك التذاكر تنظر إلى ساعتها نظرة القلق الذى فرغ صبره مقطبة حاجبيها الجميلين . ولم تلبث أن أفلتت حافظة يدها فسقطت على الأرض ، فالتقطها رجل كان واقفاً على مقربة منها ، ووقف الإثنان يتكلمان بضع لحظات . ونجح مشروعها نجاحاً تاماً فقد تأبط الرجل ساعدها وقصدا إلى شباك التذاكر ثم دخلا معاً الدار ، فنظرت إرما إلىّ من وراء كتفها والتقى ناظراناً فكانت عينها تقول :

— ألا ترين أن الأمر بسيط لا شيء من الصعوبة فيه ؟

وبعد خمس عشرة دقيقة عادت إرما إلىّ وفى قبضتها جملة قطع من العملة الفضية ، وقالت :

— خمسة شلنات ! فامض بنا الآن من هنا

وقلت فى أثناء الطريق :

— ولكن ماذا يعمل الرجل حين يتأكد أنك لن تعودى ؟

— ماذا عساه يستطيع أن يفعل ؟ سينظر حوله مفتشاً ثم يستقر فى مكانه متمتعاً بمشاهدة الفلم. والحق ياسو أننى لم أشهد السينما منذ عهد طويل ، ويحسن أن أشهد إحدى الروايات فى ليلة من ليالى فراغى

وقهقهت إرما واشتركت معها فى القهقهة فقد كان الأمر غريباً حقاً ، وأى شيء يفعله الناس للتخلص من العمل ؟

عند ذلك ذكرت موقفى ، ذكرت العمل الذى خرجت منه ، ولا يزال أمامى أن أواجه أمى بالخبر ، وسيقع ذلك من نفسها موقعاً شديداً ، ولو أمكننى فقط أن أقول لها : إن أمامى عملاً آخر فلا تجزعى يا أمى ، ولكن الحقيقة أن ليس أمامى من عمل جديد إلا إذا أنا — بطبيعة الحال — أصغيت لما تملى علىّ « إرما » من إغراء

ذكرت قول إرما : «الأمر أبسط مما تتصورين»

فقلت فى نفسى : « لم لا ؟ لم لا ؟ إن الإنسان لا يموت إلا مرة واحدة »

تعشينا أنا وإرما ، ثم أخذتنى إلى دار من دور السينما الكبيرة فى حى آخر ، وهناك تركتنى واقفة فى أحد الأركان .

فشعرت كأننى إحدى العرائس الشمع التى توضع فى واجهات الحوانيت ، واقفة جامدة منبوذة ، تنعكس على وجهى أشعة المصابيح والأضواء الساطعة ولعلى كنت منبوذة حقاً كما هيئ لى .

لقد نصحت لى إرما بأن أقع على فريسة بأسرع ما أستطيع وأن أركز كل قوتى لاجتذابه ، ولكن خيل إلى أن عينى قد فقدتا قوة الأبصار .

ومرة اقترب منى رجل وقال :

— ليلة لطيفة يابنيتى

وكان بدين الجسم أصلع الرأس يمضغ بقايا سيجار قديم ، فهززت كتفى وانتقلت من موقفى ، ورجوت لو إن إرما لم تكن ترقب موقفى .

ثم أبصرت ذلك الفتى الذى يرتدى معطفاً أصفر وقبعة عريضة ، وكان واقفاً بجوار الجدار على إحدى قدميه ثم على القدم الأخرى . وكانت أعقاب السجائر الملقاة تحت قدميه تدل على أنه قضى وقتاً طويلاً فى موقفه هـذا . وكان ينظر إلىّ نظرة المستطلع ولكن فى غير وقاحة الرجل البدين . فقلت فى نفسى : لعل صاحب المعطف الأصفر يصلح لأن يكون الفريسة المطلوبة . ولقد كان يبدو لى أنه أسلم من من بقيـة الرجال الواقفين حولى . وكان واضحاً أن بعضهم ينتظر فتيات على ميعاد ، وكان البعض الآخر واقفاً لمجرد التطلع أو فى انتظار المصادفة التى تسوق إليهم فتاة ما ، كما خبرتنى إرما من قبل ...

فاقتربت قليلاً من صاحب المعطف الأصفر متظاهرة بأننى أنظر الصور الفوتوغرافية لمناظر العرض المقبل. وقد ذكرنى صاحب المعطف الأصفر بجرو صغير أخذته أنا وأمى إلى بيتنا فى إحدى ليالى الشتاء . فأويناه وأطعمناه ، فقد كانت عينا الرجل أشبه بعينى ذلك الجرو ولهما لونهما .

وهنا أفلت حافظة نقودى فسقطت على الأرض فالتقطها صاحب المطف الأصفر وقدمها إلى فى حذر شديد وهو يقول :

— أليست هذه الحافظة لك أم ترينى مخطئاً ؟

قلت :

— بلى هى لى

وفى وقت واحد قلت أنا وصاحب المطف الأصفر :

— وبعد ؟

وأحس الرجل بشىء من الخجل فاعتذر فقلت مبتهجة :

— يخيل إلى أن رواية الليلة جميلة جداً ؟

وأحسست أن الدم الحار قد ملأ وجهى وعنقى وأنا أقول له :

— أعندك ... ساعة ... ؟

فأجاب الرجل فى لهفة شديدة :

— الساعة الآن السابعة والربع

فوقفت صامتة وأحدقت فى الأرض بضع لحظات

أجاب الرجل :

— نعم يلوح لى ذلك

وبدأت أظن أننى قد وقعت على رجل فى انتظار فتاة غيرى، فحاولت أن أبتعد عنه ، ولكنه قال على حين فجأة :

— إن لندن بلد عجيب ، فهل لا ترين ذلك ؟ إنه بلد عجيب واسع فارغ

وأقبل فريق من رواد السينما فكادوا يدفعونني بالمناكب فملت جانباً ، وقلت وأنا أسوى قبعتي التي حرفتها حركة المتدافعين :

— أنا لا أرى لندن فارغة كما تتوهم ؛ غير أنني لا أستطيع بالطبع إلا أن أشعر بالضجر ، فإنه يبدو أن صديقي لن يحضر

فقال صاحب المعطف الأصفر : إن الرجل الذي يتخلى عنك يجب أن يسحق رأسه

فقلت :

— إنك على ما أرى رجل رقيق حريص على مواعيدك ...

قال الرجل :

— أنا لست على ميعاد ، ولكنني واقف هنا لأنني أقيم في الفندق القائم في الجانب الآخر من الشارع ، وأنا من أبردين

ويدل الأسلوب الذي ألقى به عبارته على أنه لا يرى بلده كبيراً مثل لندن ولا فارغاً مثلها . ثم قال :

— غير أنني على كل حال لا أعجب الفتيات

فقلت :

— إن أية فتاة تنفر من مصاحبتك تستحق تحطيم رأسها

فابتسم الرجل ، ولم يكن حسن المنظر ، ولكن عينيه وأسنانه كانت جميلة . ولم يلبث أن قال :

— إني أسألك إذا كنت تحبين أن تشهدي هذه الرواية معي ؟

قلت :

— لا مانع عندي يا مستر ...

— لك أن تدعيني « بيل »

وفي أثناء اجتيازنا الردهة القصيرة الموصلة إلى صالة العرض أخبرني الفتى أن أمه ماتت منذ شهر ، وأنه حضر لمشاهدة لندن ، وأن ليس لديه ما يمنع عودته إلى المزرعة التي يملكها ، لو أن فيها من ينتظره ليؤنسه

ثم قال في شيء من الحزن :

— ولكنني لا أعجب الفتيات فهن ينفرن مني .

فسألته :

— « وهل رأيتني أنفر منك ؟ »

فضغط الفتى ساعدي في لطف فعل الصديق وقال :

— أما إلى الآن فلا ...

ووجدنا كرسيين في مؤخرة الصالة وقد احتفظت بنصفي التذكرتين وجلست ساكنة أحاول النظر إلى الرواية ولكنني لم أشعر بشيء غير ملامسة كتف زميلي لكتفي

وبدت صفحة وجهه في الظلام غائرة حزينة ، وذكرت أن أمه قد ماتت منذ عهد قريب ، وأنه منبوذ من الفتيات ، حتى لقد نسيت أنني أنا الأخرى منبوذة ، ورأيتني أدعك شيئاً في يدي . فذكرت نصفي التذكرتين ، فملت نحوه وقلت مسرعة :

— أتأذن لي بأن أتغيب بضع لحظات ؟

وبدأت أتسرب في خفة . فقال :

— لا تنسي الكرسي في الصف قبل الأخير !

واجتزت الردهة مسرعة أكاد أجري ، ولم أجد أية صعوبة في استرداد ثمن التذكرة !

فسألتني إرما :

— أراك قطعت وقتاً طويلاً في حمله على الدخول معك .

وفتحت كفي المبللة بالعرق . فقالت إرما :

— نصف كرون ؟

قلت :

— نعم ... نعم نصف كرون

وصحبتني إرما إلى إحدى المحطات الأرضية لأعود أنا إلى بيتي ، ولتستأنف هي مغامراتها الليلية في حي آخر ...

وقالت إرما متضجرة ونحن ننتظر القطار :

— عجباً ! أنقف هنا الليل كله ؟

أما أنا فقد ارتسمت في مخيلتي صورة العينين اللتين تشبهان عيني الجرو الضال، ومنظر ذلك الشعر الذي لا يستقر راقداً على الرغم من استعمال زيت الشعر. وذكرت أنني أول فتاة لم يخف منها ، فتركني لي دون أن أعود إليه ستكون الضربة الأخيرة التي تصيبه ... والفتى لا يزال حزيناً لموت أمه ... وكل الناس ...

وقبل أن أفكر في شيء آخر تركت إرما مسرعة فصاحت بي :

— إلى أين ؟

قلت :

— سأتكلم بالتلفون واذهبي أنت

وصعدت الدرج جارية ، ولم ألبث أن اجتزت الشارع عائدة إلى دار السينما

ووضعت نصف الكرون أمام فتاة الصندوق وقلت :

— تذكرة واحدة من فضلك

وقد دهشت الفتاة ... وخيل إليّ أنها تسخر بي في نفسها ولكنني لم أبال شيئاً

وتسللت في خفة إلى مقعدي في وسط الصف الثاني في مؤخرة الصالة

وشعرت بيده تلمس ساعدي كأنما أراد أن يتحقق أنني أنا نفسي الجالسة إلى جانبه وقال :

— يا لله ... لقد جزعت عليك

قلت :

— صه فإني أريد أن أشهد التمثيل

وبدلاً من أن أربح نصف كرون أضعت ستة بنسات أجراً للترام ... فيالها من بلاهة ! !

ولكن لم يكن في وسعي أن أتحايل على أي إنسان على تلك الصورة . فذلك عمل دنيء حقير ، وبخاصة مع إنسان ينظر إليك كأنك جون كروفورد ومارلين ديتريش ممتزجتين في شخص واحد ، ثم هو لا يزال ينظر إليك هذه النظرة ...

ومنذ شهر وأنا ألتقي ببيل كل ليلة، وقد حصلت على عمل جديد ، ولكنه وقتي . فستصبح أبردين هي المكان المحبب لأمي ولأخوتي الصغار ولي أنا على وجه أخص !

عبد الحميد حمدي

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً